

الصحافة اليسارية في العراق ... امسية التاريخ المشرف في لاهاي

عبد الرزاق الحكيم

تأكيدا لنهجها الثابت والمستمر في دعم ورعاية الثقافة والمثقف العراقي وتعضيد ابداعهم في المهجر الهولندي والاوروبي على حد سواء اقامت جمعية البيت العراقي في لاهاي دنهاخ وبالتعاون مع رابطة بابل للفنانين والكتاب الديمقراطيين العراقيين في هولندا , احتفالية توقيع كتاب المبدع الدكتور ذياب الطائي الموسوم (الصحافة اليسارية في العراق 1924- 2003) , جدير بالذكر ان هذا الكتاب هو الثالث في سلسلة التوثيق للاعلام العراقي التي يقوم بها الباحث الدكتور الطائي , وكان بحثه الاول الموسوم (تاريخ الصحافة في البصرة 1889- 2009) قد استحوذ على اهتمام الشارع الاعلامي الاكاديمي منه والمهني لما توفر عليه من اسلوب في التارخة والتوثيق ودقة انتقاء المصادر والمراجع ومصداقيتها , وكان الدكتور الطائي قد اعقبه بكتابه الثاني تحت عنوان (التظليل الاعلامي من صناعة الخبر الى صناعة السينما) .



الاحتفالية : شهدت احتفالية توقيع الدكتور الطائي على مؤلفه الثالث في سلسلة التوثيق للاعلام العراقي حضورا نوعيا لافتا لحشد من الكتاب والادباء والفنانين وممثلين عن السفارة العراقية في لاهاي و بعض منظمات المجتمع المدني العراقية في هولندا....

في مقدمة الاحتفالية تحدث السيد رئيس الهيئة الادارية لجمعية البيت العراقي قائلا : كم نحن سعداء في عامنا هذا اذ نحن نشهد انجاز المبدعين تترى كالبرد , فبالامس القريب جدا كنا نحتفي معا بمنجز المبدع الروائي والاعلامي الاستاذ جاسم المطير وكنا احتفينا معا بمنح الفنانة المبدعة بيدر البصري شهادت مطربة الاديان وشهدنا توقيع الفنانة الشابة نادين على البومها الغنائي الاول واليوم نحتفي بمنجز المبدع الاستاذ الدكتور ذياب

الطائي الموسوم الصحافة اليسارية في العراق وفي القابل من الايام سنحتفي معكم بمنجز الفنان المبدع (احمد شرجي ومنجزه الموسوم المسرح العربي من الاستعارة الى التقليد) .



وفي ختام حديثه ترك الحكيم الحديث للدكتور سلام الاعرجي الذي قال : لست خبيراً في مجال الصحافة وان توفرت على تجربة مهنية بسيطة , الا اني سأحاول قراءة الكتاب على وفق مستويين البحثي والمعنياتي . لقد توفر الباحث الطائي على اهم سمات الباحث الاكاديمي متمثلة في التجرد عن الهوى ودقة انتقاء المصادر والمراجع والتواجد داخل مشكلة البحث والحاجة اليه جديراً بالذكر ان الطائي حلل مفهوم اليسار في تعريف اجرائي خدمة لمقتضيات مشكلة البحث واهدافه ومنهجية البحث .

ان الطائي لم يقدم فهرست للصحافة العراقية اليسارية والشيوعية العربية منها والكوردية بل سعى الى تقديم بلوغرافيا عن المحررين والكتاب والمشتغلين في الصحافة العراقية الوطنية وكان ذلك من وجهة نظري المتواضعة دعماً اكاديمياً علمياً لآليات التوثيق , كما ان الطائي قدم نماذج من الخطاب الاعلامي العراقي اليساري والشيوعي , امط اللثام من خلاله عن وطنية ذلك الخطاب الرامي الى ارساء الدعامين الاساسيين للحياة السعيدة , الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية , واستعرض الطائي في منجزه ومن نافذت الهوامش , استعرض اهم المنعطفات السياسية في العراق المعاصر والحديث موضوع البحث , ولم يبرح استعراضه تعاطي تلك المحطات خارج سياقها التاريخي فقد كان منجز الطائي - وان لم يكن يقصد ذلك - احد ابرز الشهادات الواجب اضافتها الى عشرات الشهادات بحق الحزب الشيوعي العراقي وقياداته المناضلة .

كما ترك الدكتور الطائي للمتلقي نافذة مشرعة تطل على منجز صحافي مهيب من خلال حديثه عن الصحافة الانصارية الشيوعية , آليات العمل , ماهية الخطاب , اهمية القراءة والتثقيف الذاتي لدى المقاتل الشيوعي - الانصاري - آليات الارشفة والحفظ والتوزيع , هذا وكان الاعرجي قد وعد بتقديم دراسة تناقش ما ورد من افكار وطروحات ذات صلة ببعض الوقائع والمواقف السياسية لاسيما ذات العلاقة بتاريخ الحزب الشيوعي العراقي .



بعد حديث الدكتور سلام الاعرجي تحدث الدكتور الطائي عن الأهمية التي يحظى بها التوثيق باعتباره تدوينا للتاريخ يهدف الى حفظ التراث الثقافي وأشار الى ان كتابة التاريخ... لا يمكن ان تكون عملية استعادة ولكنها عملية فحص وتدقيق وسد الثغرات في الموروث الثقافي ومحاولة طرح سيناريوهات متعدد للحديث التاريخي، شريطة ان تتم بروح محايدة , بعدها تناول الدكتور الطائي المنهج الذي جرى على اساسه انجاز الكتاب ، فأشار الى انه واجه اولى الصعوبات في تعريف مفهوم اليسار الذي على ضوءه تم فرز الصحف التي تبني توثيقها ، وقال بأن هذا المفهوم لم يكن ملتبسا في ستينات القرن الماضي كما هو اليوم ، ولكن مساهمات (غرامشي) في ما سماه (المتقف العضوي) وطروحات مدرسة فرنكفورت التي تأثر مفكرها الماركسيون بكل من (فرويد) وعالم الاجتماع (ماكس فايبر) وكذلك مجلة اليسار الجديد الصادرة في لندن عام 1933 برئاسة تومبسن ، قد اكسبا المفهوم محددات جديدة ابتعدت عن اساسيات النظرية الماركسية ، وقد ساهم في هذا الحرك الذي بدأ بالمزج الفكري بين الماركسية والمنجزات الفكرية الجديدة في العدالة الاجتماعية ، ما طرحه خروشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي , بعدها تناول الدكتور الطائي مفردات الكتاب وأشار انه من ثلاث فصول تناول الفصل الاول صحف الحركة الشيوعية والتي كانت 68 صحيفة وذكر انه للفترة من 1924 ولغاية سقوط النظام الملكي لم تصدر علنا غير صحيفتين والباقي صدرت على نحو سري ويضم هذا الفصل ايضا الصحف التي صدرت خارج العراق وكذلك صحف الأنصار الشيوعيين في مناطق القتال في كردستان العراق وعددها 35 صحيفة وضم الفصل الثاني الصحافة الصادرة باللغة الكردية(ذات التوجه اليساري وكان عددها 46 صحيفة .وتناول الفصل الثالث الصحافة اليسارية خارج الحركة الشيوعية وقد وثق الباحث 66 صحيفة ، كما وثق للعديد من الصحف اليسارية التي كانت تصدر خارج العراق وبين الباحث ان بعض الصحف السرية والتي كانت تصدر في السجون والمعتقلات لعبت دورا هاما في حياة الحزب الشيوعي العراقي الداخلية كصحيفة (السجين الثوري) وأشار الى ما أسماه (عطش الثقافة) والذي اعتبره السبب في قيام مجموعات صغيرة معزولة في جبال (بهدينان)ومطاردة من قبل السلطة في بغداد بإصدار صحف تكتب باليد وتوزع على قواطع العمليات وتتضمن اخبار القتال والقصص القصيرة وقصائد شعرية تتابع اساليب ومنطلقات جديدة، فضلا عن مقالات النقد الفكري والأدبي .



وبعد فترة الاستراحة ... فسح المجال للمداخلات والأسئلة والنقاش ...

مامستى محمود : قدم قدم مداخلة مكثفة , حول أهمية الحيادية المطروحة في الكتاب , مع ذكر الواقع الذي يجب ان نستفيد منه , كحركة اليسار والحركات التقدمية ... وتعريف الصحيفة اليسارية ...



وضرب امثلة من الواقع الصحفي في هولندا , فمثلا صحيفة (الفولكس كرانت) الهولندية معروف عنها صحيفة يسارية واضحة المعالم , وهي صحيفة تقدمية , علمانية , يسارية , حتى وان كتب فيها كتاب يمينين ... في حين جريدة (تلغراف) ... يمينية , ولكنها علمانية , وتنادي بحقوق الانسان ... في حين , جريدة (تراو) جريدة يمينية , دينية حتى وأن كتب فيها سكرتير الحزب الاشتراكي , او اليسار الأخضر ... تبقى يمينية , دينية ... وقال ايضا , نحن لحد الان لم نستفيد من التراث الاوربي اليمين هنا في هولندا يعلن عن نفسه بانه يمين ... واليسار أيضا , وبدون وجل أو خوف ... تطرق الى جريدة (الحوزة) المذكور في الكتاب ... وهي جريدة دينية , بالرغم من وجود كتاب شيوعيين أو يساريين , يكتبون فيها ... وكذلك (خه بات) جريدة قومية ... واكد على ضرورة خروج اليسار واليساريين الى العلن , بعيدا عن المكاتب والمقرات ... والذهاب الى اقامة العلاقات مع الحركات الاجتماعية والثقافية والتقدمية , لكسبها ... عبر طرح برنامج واضح , ومقبول ومعبر عن هموم اوسع الجماهير .



كريم كطافة : تحدث عن المنهج والأهمية التاريخية للكتاب , وموضوعه غير المسبوق ... ويعتبر مرجع مهم للبحوث والدراسات ... وتطرق ايضا الى مفهوم اليسارية ... حيث فيه اشكالية , وخاصة في العراق , فهو غير واضح مفهوم اليسار قديما , له دلالاته الواضحة , منذ ظهوره في البرلمان الفرنسي ... ولو ان هذا المفهوم متحرك فمثلا الحركات والاحزاب القومية , فيها يسار وفيها يمين , وحتى البعث الى حد ما , قبل ثورة تموز 58 , فيه جناح يساري وآخر يميني ... وكذلك الحركات الراديكالية دخلت الى مفهوم اليسار اشار الى صحافة الانصار , التي لا يعرفها سوى الانصار انفسهم والدكتور الباحث (ذياب الطائي) ... وهي كادت أن تنسى تماما , أن لم تكن في هذا البحث ... وقال ايضا , اليسار في العراق تعرض الى عمليات قاسية وطويلة من القمع والاضطهاد والسجون والتصفية الجسدية ... ولحد الان تمارس ضدهم كل اساليب الاقصاء وانحسار للثقافة التقليدية والحريات وحقوق الانسان ... ولكن في العالم , هناك تطور نوعي ونمو للحركات اليسارية , ومهرجان اللومانيته في فرنسا , يمثل حركة اليسار الجديد .



د. جمال السامرائي : تحدث عن عمق اليسار في العراق ... واثنى على بحث د. ذياب , بانه وثق لتاريخ الحركة الصحفية والاعلامية اليسارية العراقية , وكان حياديا في بحثه وكتابه .

ربيع البديري: ثمن ابداع د. ذياب في بحثه ودراسته للصحافة اليسارية في العراقية ... وتساءل عن الصحافة العراقية اليسارية , باقية اليوم في العراق ؟... وبماذا يفسر الباحث , ضعف للثقافة اليسارية في عراق اليوم ؟



جليل الحلواني : تحدث عن قرار المنع لتوزيع جريدة (اتحاد الشعب) في جنوب العراق والفرات الأوسط , من قبل قائد الفرقة الاولى حميد حصونة ... وموقف القوى والاحزاب اليسارية منه ... ووضح كيفية توزيع الجريدة سريرا وايصالها للقراء في عموم هذه المحافظات .



باسمة بغداددي : تحدثت عن اهمية كتاب د. ذياب , باعتباره مصدر مهم للطلبة وللدارسين والباحثين حول الصحافة في العراق ومنها الصحافة اليسارية .

وكان آخر المتحدثين ... أبو فرح ... حيث تطرق الى موضوع علاقة الشكل بالمضمون , وضرورة الوضوح وأهميته , لكي يعرف القارئ ... اي صحيفة يختار , وحاجته اليها ... وهنا تكمن أهمية الصبغة التي تصطبغ بها هذه الجريدة أو تلك ... الجريدة المعبرة عن المفاهيم الديمقراطية , وحقوق الانسان , والحريات العامة والخاصة , والمساواة ... والتي تعكس هموم الناس , وطرق واساليب ونقد ومعالجة الإخفاقات في برامج وإداء الحكومة ... ورفع مطالب الناس , وخاصة شريحة الفقراء والعاطلين عن العمل , خريجي الجامعات , ومختلف المراحل الدراسية , ومسألة الخدمات , والفساد الاداري والمالي , وسرقة اصوات الناخبين , والتدخل في الشأن القضائي , ومسألة العدالة الاجتماعية والإقتصادية والسياسية ... كل هذه المواضيع , تحدد هوية الصحفية , إن كانت يسارية أو يمينية أو دينية أو طائفية أو قومية ... الصحفية اليسارية ... تتعدى كل هذه المصطلحات المصطنعة لإغراض سياسية ضيقة ... استبدادية , متخلفة .



أجاب الدكتور ذياب : بشكل مكثف عن الملاحظات والأسئلة ... بعدها تم توقيع الكتاب وتوزيعه للحضور الكريم , وقدمت باقات زهور للباحث د. ذياب الطائي من قبل جمعية البيت العراقي . جدير بالذكر ان الدكتور سلام الاعرجي كان غادر الاحتفالية عند الاستراحة مستاذنا لظرف هام لم به لذلك لم يسعفه وقته للمشاركة في المدخلات والحوار مع تقديم باقة زهور له تقديرا لجهوده وتحمله عناء السفر وقبول دعوتنا لإدارة الاحتفالية.











